السخرية و الحجاج في النقد المغاربي المعاصر

Argumentation And Irony In Contemporary Maghrebian Criticism

غالم عبد الصمد

pr.abdessamed@yahoo.fr

المشرف : أ .د عمارة بوجمعة

قسم اللغة العربية و آدابها

مخبر تجديد البحث في تعليمية اللغة العربية في المنظومة التربوية الجزائرية

جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2018/07/29 تاريخ القبول:2018/12/08 تاريخ النشر: 2019/03/19

الملخص: عرفت البلاغة الجديدة عودة الاهتمام بالمكون الإقناعي في مختلف النصوص، و كانت تسعى من خلال ذلك لاستكشاف التقنيات و الوسائل الحجاجية التي تساهم في التأثير في المتلقي . و يعتبر الخطاب الساخر من بين أهم الخطابات التي استهوت الباحثين المتأثرين ببلاغة الإقناع ، حيث انطلقوا في عملهم من اعتبار السخرية ظاهرة تلفظية جديرة بالتحليل وفق النظرية الحجاجية، ولذلك ما مدى حضور الإستراتيجية الإقناعية في هذا النوع الخطابي ؟ تهدف هذه الدراسة للتعريف باستراتيجية السخرية و الوقوف على أهم مكوناتها الجمالية و التداولية ، و تسعى لرصد اهتمام النقد المغاربي المعاصر بحجاج السخرية .

الكلمات المفتاحية : البلاغة ; الحجاج ; السخرية ; الخطاب ; النقد المغاربي المعاصر.

ABSTRACT **:** The new rhetorique aims explore the different mechanisms and techniques that play the role of convincing the receiver . In our studies , we have worked on argumentation in sacrastic discourse bacause irony always remains an enuciative phenomenon that deserves to be studied by argumentation theory . soc can it examine persuasion strategies in this kind if discourse ? The objective of this study is to define the irony strategy and to specify its componants and show how contemporary Maghrebian criticism analyse the use of irony in argumentation .

Keywords: Rhetorique ; Argumentation ; Irony ; Discourse ; Contemporary Maghrebian criticsm.

1. مقدمة:

عرف النقد المغاربي المعاصر اهتماما ملحوظا بنظريات الحجاج و تطبيقاتها على مختلف الخطابات ، و تميزت هذه القراءات المنهجية بمحاولتها فك مغالق النصوص و استكشاف مقاصدها و الوقوف على استراتيجياتها الإقناعية .

لقد انطلقت هذه الدراسة عن تصور يرى في البلاغة اليوم علما يفتح آفاقا رحبة في مجال تحليل الخطاب ،و لأجل ذلك حاولنا التعرف على مدى استثمار النقاد المغاربة لهذا المنجز في تحليل خطاب السخرية ، خاصة أن السخرية عندهم ليست أسلوبا يراد به الإمتاع و إدخال السرور على المتلقي فقط ، بل هي أيضا استراتيجية تواصلية تضطلع بغايات وأهداف حجاجية ، و لذلك ما أسس بلاغة السخرية الأدبية ؟ و كيف ساهمت في بناء الأخلاق و توجيه المتلقين نحو القيم المثالية ؟ و ما ملامح هذه الاستراتيجية الإقناعية في المدونة النقدية المغاربية المعاصرة ؟

في محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات البحثية سنقف أولا عند تعريف السخرية و تحديد خصائصها .

2.مفهوم السخرية

1.2 لغة

ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تضمنت فعل السخرية أو ما يحمل معناها ، و نذكر من ذلك قوله تعالى ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1] و تحيل السخرية في هذه الآية إلى دلالة الاستهزاء .

و بالعودة إلى المعاجم العربية نجد في لسان العرب قول ابن منظور " السُخرة : الضحكة . و رجل سُخَرة : يسخر بالناس . و سُخرة : يُسخر منه "[2] فالمعنى المعجمي للمفهوم اللغوي للسخرية ارتبط منذ القدم بالضحك .

2.2 اصطلاحا

ارتبطت المصطلح الغربي للسخرية " Irony" بالكلمة اليونانية " eirônia" و التي تعتبر " وصفا للأسلوب في كلام إحدى الشخصيات بالملهاة اليونانية القديمة ، المسمى ب " إيرون " eirône" . و كانت هذه الشخصيات تتميز بالضعف و القصر مع الخبث و الدهاء ، و كانت دائما تتغلب على شخصية الألازون " alazon" الفخور الأحمق "[3]

تعتبر السخرية من المصطلحات التي لم تعرف اتفاقا في تحديد مفهومها، لاتساع حقل اشتغالها ، فهي لا ترتبط بحقل الأدب فقط ، بل قد تتجاوز العلامات اللغوية لتستوعب مختلف الإشارات غير اللفظية ، مما يجعل هذه الظاهرة الخطابية حاضرة في مختلف الخطابات التواصلية كالرسم الساخر.

تقوم السخرية على معنين : معنى حرفي غير مقصود و معنى ضمني مقصود ، و لا يمكن للمتلقي أن يصل إلى مقصدية الخطاب إلا إذا كان له " وعيا بآليات التركيب و بناء المفارقات ليحصل على المعنى المقصود و لكن من خلال علامات يوفرها الساخر ، أو أحيانا يكفي السياق لتفهم مقصدية الساخر "[4] فالالتباس المميز للمفارقة في الخطاب الساخر يجب أن لايعرقل نشاط التأويل لدى المتلقي ، فحتى و إن كانت السخرية الناجحة تتفادى المؤشرات العمدية لإضحاك الجمهور ، إلا أن ذلك " لا يعني تعمية المعنى ، فلا بد من قدر من الشفاهية "[5]

و أما إذا بحثنا عن سبب صعوبة تحديد معنى السخرية في الحقل الأدبي ، فإنه يمكن أن نرجع ذلك إلى عدة عقبات يمكن حصرها في ثلاث نواحي : الأولى " تواجه الأسلوبي في بحثه لوصف ظاهرة السخرية بشكل دقيق ، وهي تتمثل في فخ الاسمية ، بتناوب السخرية ما بين الضحك و الهزلي و الفكاهة و الدعابة و المفارقة ... الخ ، و الناحية الثانية المتعلقة باستحالة الاعتماد على تقليد بلاغي راسخ لمفهوم السخرية ، و ثالثا ، تظهر صعوبة أخرى حينما ندرس السخرية بالتباسها على القارىء ، لأسباب تتعلق بشفويتها ، من جهة ،و بارتباطها السيميولوجية ، وارتباطها بالقرائن و المؤشرات "[6] و عليه فالسخرية استراتيجية خطابية تساهم في تشكيلها عدة عناصر سياقية و مكونات بنائية و أبعاد تداولية ، و ما دام كذلك فإنه لا يمكن فهم مقصدية هذه الظاهرة إلا إذا أخذت هذه المعطيات المهمة بعين الاعتبار.

إن الاعتداد بالخصوصية التداولية لخطاب الهزل ، دفع النقاد إلى التمييز بين السخرية اللفظية و السخرية التداولية .

و تجدر الإشارة إلى ارتباط السخرية في الفكر اليوناني بالفلسفة ، فقد اتخذ منها سقراط سلاحا في محاوراته " لاستدراج شخص ما حتى يصل إلى الاعتراف بجهله "[7] و وظف سقراط أيضا هذه الاستراتيجية الخطابية مع المخاطبين من خلال تظاهره بالجهل عن قصد .

و أما في الثقافة العربية ، فإن الحديث عن السخرية ارتبط بالكثير من المصطلحات المقاربة لها كالهجاء و التعريض و الهزل و الفكاهة و التندر و التهكم " و هي مصطلحات كثيرة تدل على مدى حضور السخرية في التراث البلاغي العربي . غير أن التعامل معها لم يعد مستوى الرصد إلى التنظير "[8]

و إذا انتقلنا إلى حضور السخرية في التأليف الأدبي ، فيمكن القول إن الجاحظ من أهم الكتاب الذين ساهموا في تأسيس الأدب العربي الساخر منذ العصر العباسي ، فمع هذا البلاغي المتميز لم تعد السخرية مجرد آلية لبناء الخطاب ، بل صارت ملازمة للأدب الرفيع ، و لذلك استثمرت بعض الأجناس الأدبية هذه الصفة ، و تجدر الإشارة إلى أن " السخرية حس أصيل في الإنسان ، قد تبرزها العوامل الخارجية موهبة ، إن استثمرها صاحبها و وجهها الوجهة الأدبية التي تستحق . و المتلقي ، من جهة أخرى ، يكون طرفا آخر في إبداع السخرية ، فلا بد له من تملك الحس الساخر و معرفة مراميه "[9]

إن السخرية لا تقف عند حد التسلية الفارغة ، بل ترقى بالفكاهة إلى مستوى مواجهة التناقضات الاجتماعية و تعديل السلوكات المنبوذة ، و التأثير في المتلقين ، و هي في ذلك كله تملك إمكانية التأثير بفضل طاقتها الإقناعية و اعتمادها على الاستخفاف بالنقائص و العيوب .

3.خصائص السخرية

يرى محمد العمري أن الخطاب الساخر قائم على تداخل مكونين هامين هما :[10]

-مكون انفعالي أو تأثيري : يتجلى من خلال الضحك أو الاستهجان أو مجرد الإحساس بالمفارقة ، و يتبع هذا الشعور إحساس بالمرارة لدى المتلقي .

- مكون بنائي أو لساني :يتجسد من خلال المفارقة الدلالية و ما يترتب عنها من التباس ، و يشترط في المفارقة الحاصلة بين الرسالة الحرفية و الرسالة الحقيقية أن لا تصل إلى درجة الخفاء .

لا يهدف الأديب الساخر إلى الإضحاك الخالص ، بل يستعمل هذه التقنية لفضح المسخور منه و كشف تناقضاته القولية و الفعلية ، و لذلك يمكن القول إن " السخرية تحمل أبعادا لما وراء الضحك ، فليس الضحك غايتها ، و إنما أحد وسائلها للوصول إلى الغاية "[11]

لا تخلو السخرية من أبعاد حجاجية ، فهي الوسيلة المجدية التي يلجأ إليها الكاتب لكشف التناقضات باعتبارها " فن إبراز الحقائق المتناقضة و الأفكار السلبية في صور تغري بمقاومتها ، و الرد عليها و إيقاف مفعولها ، من غير أن يلجأ إلى الهجوم المباشر "[12]

إن شعور الكتاب المعاصرين بالغربة و الاغتراب و خيبة الأمل هو المحرك الأساس لخطاب الهزل عندهم ،فالكتابة الساخرة هي تعبير عن التمرد و رفض للتناقضات الاجتماعية و الثقافية ، فالشعر العربي

على مر العصور استثمر هذه الآلية الحجاجية في نقد الواقع المر الذي تعيشه الأمة العربية، و لذلك فالشاعر الحاذق هو الذي " يتقن التقاط مواقف السخرية في أدق تفاصيلها ، ومن أضيق زوايا وجودها في الواقع "[13]

إن الأديب الساخر يسعى لكشف تناقضات المجتمع الإنساني ، و يعتمد في ذلك على أسلوب المفارقة في بناء خطابه الهزلي ، وتعتبر هذه التقنية من أهم خصائص خطاب السخرية . و الحقيقة أن المفارقة من أهم الأدوات الأسلوبية الفاعلة في الخطابات التداولية . و نستطيع أن نتبين بوضوح أن " للمفارقة عناصر و هي : صانع المفارقة و غالبا ما يكون كاتب النص أو أحد أبطاله ، و النص الذي يكمن فيه التعارض أو التضاد الظاهري و فيه يتم بث الرسالة ، و ضحية المفارقة "[14]

و من الأهمية بمكان الإشارة إلى دور المفارقة في التأثير على المتلقي و تغيير أفكاره و معتقداته و سلوكاته .

4. الإقناع في السخرية

لا يخلو الخطاب الساخر من أبعاد إقناعية ، فالسخرية في معظم الأحيان ليست سوى " حوارا مع موقف أو رأي سابق "[15] و هذا يعني تضمنها قيما حجاجية ، فالساخر لا ينشىء خطابه غفلا عن التأثير في المتلقين .

و يمكن النظر إلى السخرية بوصفها تتضمن مقاصد تداولية تخدم الاستراتيجية الحجاجية ، أي " إنها تنطوي على عبرة أخلاقية أو حكمة مشتركة أو فكرة تعليمية "[16] و انطلاقا من ذلك فالخطاب الساخر من الخطابات التي يتظافر فيها الإمتاع مع الإفادة ، و يظل الهزل استراتيجية إقناعية تستثمر آلية المفارقة لتغيير أفكار و معتقدات الآخرين .

إن للمفارقة في الخطاب الساخر وظيفة إصلاحية ، فهي في معظم الأحيان " سلاحا للهجوم الساخر ، و قد تكون أشبه بستار رقيق يشف عما وراءه من هزيمة الإنسان ، و ربما أدارت المفارقة ظهورها لعالمنا الواقعي و قلبته رأسا على عقب ، و ربما كانت المفارقة تهدف إلى إخراج أحشاء قلب الإنسان الضحية لنرى ما فيه من متناقضات و تضاربات تثير الضحك"[17]

تتأرجح السخرية بين مستوى ضيق يتمثل في السخرية من فرد بعينه أو مجموعة من أفراد محددين إلى مستوى أعلى و أرحب أي السخرية من الواقع الاجتماعي والسياسي و الثقافي بصفة عامة ، و هذا العبور من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى يؤكد سعي الساخر لتجاوز ما هو شخصي إلى ما هو أعم و أشمل لتجسيد صوت أمته .

و الواقع أن ما يميز أسلوب السخرية من طرافة و هزل ، يعين مستعملها على إيصال رسالته و إنجاح خطابه.

5. السخرية في النقد المغاربي المعاصر

اهتم النقد المغاربي المعاصر بالنص الساخر ، و كان لمحمد العمري و محمد مشبال فضل التنظير و الممارسة في فهم هذا النوع من الخطاب ، و سار سليمان الطالي على نهجهما للتأكيد على حجاجية النادرة ، و مع هذه البحوث المتميزة اشتد الاقتناع بأن الخطاب الساخر هو خطاب إقناعي يعتمد على إستراتيجية " إثارة

انفعالات النفور و الاستهجان عند المتلقي "[18] فالساخر يتوخى من خلال خطابه حمل المتلقي على مشاركته وجهة نظره حول الشخصيات المتردية و عدم التعاطف معها ، و لأجل ذلك كان الضحك المترتب عن السخرية إدانة ضمنية للمسخور منه .

انطلقت هذه المقاربة الجديدة من المنجز الغربي ، فمحمد العمري مثلا تأثر في قراءته لخطاب الهزل بجون كوهن و كيربيرا أريكشيوني ، و أما محمد مشبال فاستند على كيبيدي فاركا لتفسير فعل السخرية ، و هذا ما دفعه إلى اعتبار السرد الهزلي أو الفكاهي في معظم الحالات " هو إجابة عن نمط من التساؤل يمكن صياغته على النحو الآتي : كيف ينبغي أن أتصرف في الحياة اليومية ؟ و ماذا يجب أن أفعل للنجاح في المجتمع ؟ "[19]

و تجدر الإشارة إلى ريادة النقاد المغربيين في التأثر بالبلاغة الجديدة التي أسسها أعلام البلاغة في الغرب .

1.5 حجاج السخرية في الخطاب الأدبي

حاول النقاد المغاربة المعاصرون مقاربة الخطاب التراثي الساخر ، وركزوا في ذلك على الأبعاد الحجاجية للنادرة و اعتبروها جنسا أدبيا قائما على الهزل ، فالهزلية من أهم المكونات البلاغية التي " لاذ بها مؤلفوا النوادر في بناء حكيهم و توصيل أخبارهم الطريفة ، وإحدى الأدوات الفنية التي استعانوا بها على السخرية "[20]

اهتم النقد المعاصر بالآليات الحجاجية التي تعتمد عليها السخرية في النادرة ، و يمكن حصر هذه الآليات في ما يلي :

الحجاج المغالط : يكون المسخور منه في هذا النوع في حالة ذهول ، فهو ينجح في الإتيان بالحجة لكنه يخفق في توظيفها و توجيهها نحو الهدف المقصود ، و يمثل محمد العمري لهذه الاستراتيجية التضليلية بنموذج البخيل الذي " يورد كل الحجج التي تتجه في اتجاه الرغبة فيضع علامة (+) لكل ما يرغب فيه و علامة (-) لكل ما لا يرغب فيه ، غافلا عن المحتوى و القيم العاطفية الملونة للعلامتين "[21]

تجدر الاشارة إلى اعتماد الجاحظ على هذه الآلية الحجاجية في نوادر البخلاء ، و لنأخذ مثالا لذلك : قصة أحمد بن خلف الذي قبل دعوة أصحابه بعد طول مناورة و مداورة " اتخذ لهم طعيما خفيفا شهيا مليحا ، لا ثمن له ، و لا مؤنة فيه . فلما أكلوا و غسلوا أيديهم ، أقبل عليهم فقال : أسألكم بالذي لا شيء أعظم منه : أنا الآن أيسر و أغنى ، أو قبل أن تأكلوا طعامي؟ قالوا : ما نشك أنك - حين كنت و الطعام في ملكك - أغنى و أيسر . قال : فأنا الساعة أقرب إلى الفقر أم تلك الساعة ؟ قالوا : بل أنت الساعة أقرب إلى الفقر . قال : فمن يلومني عن دعوة قوم قربوني من الفقر و باعدوني من الغنى ، و كلما دعوتهم أكثر ، كنت من الفقر أقرب ، و من الغنى أبعد ؟ ! "[22]

فالجاحظ في هذا الحوار جعل البخيل محل سخرية بعد أن ورطه في قياس مغالطي ، و يرى سليمان الطالي أن هذا النوع من القياس يرد في ختام بعض النوادر على لسان الشخصية المسخور منها من أجل

الدفاع عن السلوكات و وجهات النظر الغريبة ، و المتلقي حين يكتشف هذا الخداع و التمويه فإنه يصير أكثر إصرارا على إدانة هذه المواقف المنافية لقيم الجماعة .

و يرى الباحث الجزائري بلقاسم مالكية أن كتاب البخلاء للجاحظ يصور سعي البخيل ليصبح سلطة معترف بها في المجتمع " من خلال تحويل البخل إلى سلوك يتجاوز الفعل إلى التنظير الفكري و الفلسفي من أجل تحويله إلى خطاب فعال ضمن الخطابات العديدة التي يحتويها المجتمع العباسي ، سواء أكانت هذه الخطابات مركزية (خطاب الكرم) أو هامشية (خطاب البخل) "[23]

و لتحقيق هذه الغاية، يعتمد البخيل على استراتيجية التضليل ، فهو مثلا يستحضر الحجج الدينية و يوجهه معناها نحو قصده ، و ذلك بفضل طريقتين : إما عن طريق التحويل و التوظيف لقضاء أغراض شخصية، و إما عن طريف الانتقاء باعتماد الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية التي تخدم مذهب البخل ، فالبخيل في هذه الحالة " يهمل أو يتجاهل الأمثلة التي تذم البخل و تمدح الجود "[24]

إن التحليل البلاغي للاستراتيجية الحجاجية الموظفة من طرف البخلاء يعكس وعي البلاغيين المغاربة بارتباط جنس النادرة بالمواقف التواصلية المؤطرة للحدث الكلامي ، و يظهر أيضا البعد الحجاجي للسخرية المبثوثة في النوادر القديمة ، و يمكن ادراج هذه الآلية الإقناعية ضمن الحجاج بالأهواء .

المفارقة

تعتمد صور الهزل في النوادر القديمة على المفارقة و التي تنبني في معظمها على التقابل ، و لقد أشار الكثير من الباحثين المغاربة إلى تواتر وجودها في نوادر الجاحظ . " و من بين القراء الذين وقفوا على هذه الصورة ، محمد الجويلي ، و عبد الفتاح كيليطو ، و محمد مشبال ، و حافظ الرقيق ، و محمود المصفار ، و عبد الله البهلول ."[25]

و تجدر الإشارة أن حافظ الرقيق حصر صور الإضحاك المندرجة ضمن المفارقة عند الجاحظ في مجموعة من الصور التالية :[26]

- الإضحاك بالحيلة : وذلك من خلال لجوء بعض الشخصيات إلى الحيلة لأجل تحقيق أغراضها
- الإضحاك بالنكتة : و التي تتوفر على خاصية المفاجأة قولا أو فعلا
- الإضحاك بالمشهد : و يصور غالبا غرابة الحركة التي تصدر من الشخصيات المسخور منها
- الإضحاك بالحبكة القصصية : و يعتمد ذلك على عنصر تشويق القارىء
- الإضحاك بالمجاز و البلاغة :
- الإضحاك بقلب المفاهيم : كمحاولة البخلاء تحويل الكرم إلى فساد ينبغي إصلاحه
- الإضحاك بتوظيف الدين : و المقصود إيراد النصوص المقدسة في سياق بسيط تافه .
- الإضحاك بالمبالغة : و ذلك من خلال التضخيم و التهويل .93

و لا يعني التمييز بين صور الهزل أنها ترد منفصلة عن بعضها البعض ، بل ترد متداخلة في الخطاب الساخر.

التصوير الهزلي

اعتبر الباحث عبد الواحد التهامي في بحثه الموسوم ب " بلاغة الهزل في نثر الجاحظ " أن النادرة العربية القديمة اعتمدت في الإضحاك على التصوير الهزلي لنماذج بشرية شاذة ، و ذلك من خلال التركيز على أقوالها و أفعالها و هيئتها الخارجية ، ففي البخلاء كان " الإضحاك بتوظيف الدين و الإضحاك بقلب المفاهيم على سبيل المثال صورتان هزليتان يمكن إدراجهما بيسر فيما أسماه الجاحظ بالحجة الطريفة "[27]

إن دقة الوصف و روعته في نصوص الجاحظ السردية تدل على مدى تعلق صاحبها بالتصوير ، و كأنه أبى الإذعان لفكرة القوة المحدودة للألفاظ في التعبير عن الأغراض ، و مثّل محمد مشبال لهذه السمة الأسلوبية بنوادر البخلاء و الأكلة الشرهين، و اعتبر أن التصوير الهزلي يرد في معظم هذه الخطابات الساخرة متواشجا مع السرد ، و القارىء لا يرتاب أن هذا التواشج " لا يقصد إلى التسلية المجردة عن أي معنى "[28] فالهزل في كثير من المواضع هو الجد بعينه .

المحاكاة الساخرة

يعتبر العمري أنها " تناول محتوى شريف أو رفيع في صورة سوقي أو وضيع "[29] فالمحاكاة الساخرة قائمة على التصرف العابث في النصوص الجادة و إفراغها من دلالاتها الأصلية إلى دلالات جديدة تثير الضحك و الطرافة ، فالتناص في النادرة يعتمد على استحضار أجناس الخطاب الجادة ثم وضعها في سياقات مبتذلة .

و يرى الباحث المغربي سليمان الطالي أن هذه المحاكاة الساخرة لا تقتصر على استحضار الخطاب القرآني فقط " بل تتصرف في دلالة الأحاديث النبوية وفي مختلف الأغراض الجادة التي تتناص مع النادرة كالشعر ، و الوصية ، و الدعاء ، و الخطبة ، و الرسالة ، والتعزية ، وغيرها "[30]

و هي في ذلك كله تسعى لوضع هذه النصوص في سياقات جديدة تثير الطرافة و تولد الإضحاك .

حجاجية الوجوه الأسلوبية

قام التحليل الحجاجي للصور على تحليل مدى تأثيرها في المتلقي و مساهمتها في تحقيق فعل الإقناع ، فالمحلل البلاغي يروم في هذه المقاربة تقديم تفسيرات حجاجية لهذه الوجوه الأسلوبية ، و يرى محمد مشبال أن تحليل صور الأسلوب يجب أن يراعي جنس الخطاب ، فاشتغال الصور يكون وفق تنوع الخطابات .

ارتكز النقاد المغاربة المعاصرين في تحليلهم الحجاجي للصور على الإطار النوعي المميز للخطاب ، و يمكن أن نقف على ذلك في قراءتهم لجنس النادرة ، فسليمان الطالي مثلا يؤكد على أن الصور البلاغية المبثوثة في نصوص النوادر تضطلع بوظيفة إقناعية ، و لذلك ركز على حجاجية التشبيه في خطاب الهزل ، ومثّل لذلك بعدة نصوص تراثية منها " دخل أبو دلامة على المهدي و بين يديه سَلَمة الوصيف واقفا ، فقال :إني أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله . فإن رأيت أن تشرفني بقبوله . فأمره بإدخاله عليه . فخرج و أدخل إليه دابته التي كانت تحته ، فإذا به برذون محطم أعجف هرم . فقال له المهدي : أي شيء هذا ويلك ! ألم تزعم أنه مهر ! فقال له : أو ليس هذا سَلَمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف و له

ثمانون سنة ، و هو عندك وصيف ! فإن كان سَلَمة وصيفا فهذا مهر . فجعل سلمة يشتمه و المهدي يضحك"[31]

تقوم حجاجية هذه النادرة على الطاقة الإقناعية المميزة للقياس التمثيلي القائم على المشابهة بين البرذون (الخيل الذي هو من غير نتاج العرب) و الشيخ سَلَمة ، و بين المهر و الوصيف ، و يتضح جليا من خلال هذا المثال أن التمثيل قائم على تشابه العلاقات " مما يجعله أداة حجاجية مهمة ، و هو بذلك مواجهة بين بنى متشابهة و إن كانت من مجالات مختلفة "[32]

و يؤكد الباحث المغربي سليمان الطالي أن هذه الصور البلاغية الجزئية تساهم في توليد الهزل و الإضحاك في النوادر العربية القديمة ، و هي لا تؤدي في ذلك وظيفة جمالية فقط ، بل تساهم في إغناء الجانب التداولي لهذا النوع من الخطاب ، و لذلك يمكن القول إن هذه الصور " تحمل مثلا و تدل على قيم المجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط "[33]

و الخلاصة أن النقاد المغاربة تأثروا بالمقاربة الحجاجية للصور في تحليلهم البلاغي للخطاب ، و لذلك ما كان يشغلهم هو كيف أثرت هذه الصور في المتلقي ؟ و كيف ساهمت في تحقيق الإقناع ؟

و في هذا التوجه المنهجي تأثر واضح بالبلاغة الجديدة التي سعت للاهتمام بالمكون الحجاجي .

2.5 السخرية في الخطاب النقدي المعاصر

استعان التحليل الحجاجي في النقد المغاربي المعاصر باستراتيجية السخرية في قراءته لبعض الخطابات الإقناعية ، و يعتبر محمد العمري من أهم البلاغين الذين استعملوا هذه الآلية في التحليل البلاغي للخطاب السياسي ، فأكد بهذا الاختيار المنهجي بأنه " لا شيء أنفع حجاجيا من السخرية في الرد على الخطاب المختل "[34]

إن السخرية هي الأداة المناسبة لفضح الحجاج المغالط الذي يعتمد عليه بعض السياسيين ، و لذلك اعتمد محمد العمري على هذه التقنية الإقناعية في كشف تهافت بعض الخطابات السياسية ، و هذا ما نجده حاضرا حضورا ملفتا في كتابه " منطق رجال المخزن و أوهام الأصوليين ، عوائق الحداثة في المغرب " ، و يمكن حصر صور السخرية الواردة فيه فيما يأتي :[35]

سخرية اللعب اللفظي : و ذلك باللعب على القول المنتقَد ، فيتم ايراده ثم توجيهه على طريقة رسام الكاريكاتير .

الاسترجاع الساخر : استرجاع آراء الخطيب بطريقة تهكمية لنسفها بطريقة غير مباشرة ، و يعتمد ذلك على التركيز على عدم مناسبة القول للسياق .

السخرية بتوظيف الدارجة : و كان محمد العمري يوظف هذه اللغة لفضح الحجج المتهافت للخطاب المختل

6. خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح أن بلاغة الخطاب الساخر لا تتحقق على مستوى البعد اللساني فقط ، بل تتعدى ذلك إلى قدرة هذا الخطاب على التأثير في المتلقي ، و تمتاز هذه النظرة الوظيفية بسعيها لدراسة الآثار

الفعلية لأسلوب الهزل ، و تفضي هذه المقاربة إلى ضرورة ربط السخرية بالمواقف التواصلية التي تحف هذا النوع من الخطابات ، و قد تحقق هذا الوعي المنهجي بوضوح عند النقاد المغاربة .

توصلنا من خلال هذا البحث إلى نتائج أخرى ، نوجزها فيما يلي :

- لم يهمل النقد المغاربي المعاصر النظرية الحجاجية ، بل سعى جاهدا لاستثمار منجزها في تحليل الخطاب .
- تعتبر النادرة من النصوص التراثية التي اعتمدت على بلاغة الهزل ، و الملفت للانتباه عناية النقاد المغاربة ببلاغة الإقناع في هذا الجنس الأدبي ، و يكفي هنا أن نذكر قراءات محمد العمري ، محمد مشبال ، سليمان الطالي ، حافظ الرقيق ، و عبد الواحد التهامي .
- إن سمة الهزل المميزة للنوادر العربية القديمة لا تنحصر قيمتها في إضحاك المتلقي فقط ، بل تتمثل أيضا في التأثير في المتلقي و دفعه لتغيير أفكاره و سلوكاته .
- تقوم بلاغة السخرية على مكونين هامين هما : الحجاج و التصوير.
- السخرية إستراتيجية حجاجية يلجأ إليها الساخر لتغيير أفكار الآخرين ومعتقداتهم ، و لذلك فالخطاب الساخر لا يخلو من غاية إصلاحية .

-قائمة المراجع و المصادر

* القرآن الكريم

-إبراهيم نبيلة ، فن القص بين النظرية و التطبيق ، مكتبة الغريب ، القاهرة - مصر

-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر -بيروت، ط4، 2005

-بلقاسم مالكية ، كلام بكلام : التداولية من منظور بخلاء الجاحظ ، مجلة الأثر ،العدد : 15 ، 2011

-التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ،تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1953

-الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجرى ، دار المعارف ، ط5

-جان كوهن ، الهزلي و الشعري ، ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين ، ترجمة محمد العمري ، إفرقيا الشرق ، 1996

-حافظ الرقيق ، أدبية النادرة ، دراسة في بخلاء الجاحظ ، دار صامد، تونس ، ط1 ، 2004

-حامد عبده الهوال ،السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية العامة للكتب مصر ،1982

-رنا أحمد عبد الحليم ، جمالية المفارقة في القصص القرآني ، وزارة الثقافة ، الأردن ، 2014

-سليمان الطالي ، بلاغة النادرة في الأدب العربي ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ،ط1 ، 2015

-سميرة الكنوشي ، بلاغة السخرية في المثل المغربي ، فكر و نقد ، السنة الرابعة ، العدد 35، يناير 2001

-عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2016

-عبد الواحد التهامي العلمي ، أنماط تلقي السرد في التراث النقدي ، دار عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2015

-عبد الواحد التهامي العلمي ، بلاغة الهزل عند الجاحظ ،مجلة جذور ، ج 29 ، مج 12 ، شوال 1430 ، أكتوبر 2009

-فاطمة حسين العفيف ، السخرية في الشعر العربي المعاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2017

-فاطمة حسين العفيف ،الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر ، مجلة دراسات ، المجلد43 ، العدد 3 ، 2016

-محمد الزموري ، شعرية السخرية في القصة القصيرة : الوظائف التداولية للخطاب ، منشورات مجموعة من الباحثين الشباب في اللغة والآداب ، 2007

-محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 2012

-محمد العمري ، منطق رجال المخزن و أوهام الأصوليين ، عوائق الحداثة في المغرب ، منشورات جمعية وادي الحجاج للثقافة و التنمية ، ورزنات ، ط1 ، 2009

-محمد الموساوي ، عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي ، ضمن الكتاب الجماعي البلاغة و الخطاب ، إعداد و تنسيق محمد مشبال ، منشورات دار الأمان ، ط1 ، 2014

-محمد مشبال ، الحجاج و التأويل في النص السردي عند الجاحظ ، دار القصيم الأدبي ، السعودية ، ط1 ، 2015

-محمد مشبال ، بلاغة النادرة ، دار جسور للطباعة و النشر ، ط2 ، 2001

هوامش البحث

[1]- سورة هود ، الآية 38

[2]-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر -بيروت، ط4، 2005، م4 ، مادة سخر

[3]- فاطمة حسين العفيف ،الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر ، مجلة دراسات ، المجلد43 ، العدد 3 ، 2016 ، ص 2436

[4]- فاطمة حسين العفيف ، السخرية في الشعر العربي المعاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2017 ، ص 90

[5]-محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2 ، 2012 ، ص 90

[6]-ينظر محمد الزموري ، شعرية السخرية في القصة القصيرة : الوظائف التداولية للخطاب ، منشورات مجموعة من الباحثين الشباب في اللغة والآداب ، 2007 ، ص 37

[7]-سميرة الكنوشي ، بلاغة السخرية في المثل المغربي ، فكر و نقد ، السنة الرابعة ، العدد 35، يناير 2001 ، ص 76

[8]-محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 110

[9]- فاطمة حسين العفيف ،الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر ، ص2445

[10]-ينظر محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص 87

[11]- فاطمة حسين العفيف ، السخرية في الشعر العربي المعاصر ، ص 59

[12]-حامد عبده الهوال ،السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية العامة للكتب مصر ،1982 ، ص 35

[13]- فاطمة حسين العفيف ، السخرية في الشعر العربي المعاصر ، ص 21

[14]-رنا أحمد عبد الحليم ، جمالية المفارقة في القصص القرآني ، وزارة الثقافة ، الأردن ، 2014 ، ص 29

[15]-محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 105

[16]-سليمان الطالي ، بلاغة النادرة في الأدب العربي ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ،ط1 ، 2015 ، ص 178

[17]- إبراهيم نبيلة ، فن القص بين النظرية و التطبيق ، مكتبة الغريب ، القاهرة - مصر ، ص 198

[18]- محمد مشبال ، الحجاج و التأويل في النص السردي عند الجاحظ ، دار القصيم الأدبي ، السعودية ، ط1 ، 2015 ، ص 40

[19]-محمد مشبال ، الحجاج و التأويل في النص السردي عند الجاحظ ، ص 47

[20]-سليمان الطالي ، بلاغة النادرة في الأدب العربي ، ص 111

[21]-محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، ص 121

[22]-الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجرى ، دار المعارف ، ط5 ، ص 42

[23]- بلقاسم مالكية ، كلام بكلام : التداولية من منظور بخلاء الجاحظ ، مجلة الأثر ،العدد : 15 ، 2011 ، ص 272

[24]-حافظ الرقيق ، أدبية النادرة ، دراسة في بخلاء الجاحظ ، دار صامد، تونس ، ط1 ، 2004 ، ص 62

[25]-عبد الواحد التهامي العلمي ، أنماط تلقي السرد في التراث النقدي ، دار عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2015 ، ص 89

[26]- ينظر : المرجع نفسه ، ص 86-89

[27]-عبد الواحد التهامي العلمي ، بلاغة الهزل عند الجاحظ ،مجلة جذور ، ج 29 ، مج 12 ، شوال 1430 ، أكتوبر 2009 ، ص 48

[28]-محمد مشبال ، بلاغة النادرة ، دار جسور للطباعة و النشر ، ط2 ، 2001 ، ص 28-29

[29]- جان كوهن ، الهزلي و الشعري ، ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين ، ترجمة محمد العمري ، إفرقيا الشرق ، 1996 ، ص 108

[30]-سليمان الطالي ، بلاغة النادرة في الأدب العربي ، ص 118

[31]-التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ،تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1953 ج 10 ، ص 320

[32]-عبد العالي قادا ، بلاغة الإقناع ، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2016، ص 173

[33]-سليمان الطالي ، بلاغة النادرة في الأدب العربي ، ص 123

[34]-محمد العمري ، منطق رجال المخزن و أوهام الأصوليين ، عوائق الحداثة في المغرب ، منشورات جمعية وادي الحجاج للثقافة و التنمية ، ورزنات ، ط1 ، 2009 ، ص 43

[35]-ينظر محمد الموساوي ، عن تحليل محمد العمري للخطاب السياسي ، ضمن الكتاب الجماعي البلاغة و الخطاب ، إعداد و تنسيق محمد مشبال ، منشورات دار الأمان ، ط1 ، 2014، ص 305-306